استطلاع صحفي (ريبورتاج)

الأندية الأدبية في مصر

(لمندوب الرسالة)

— سأكتب عن الأندية الأدبية في مصر ...

— وأين هي يا أخي تلك الأندية الأدبية التي في مصر ؟ !

ذلك ما قاله لصديق الشاعر « الخفيف » وكنا في ندوة الرسالة ، وهذا ما أجابني به في لهجة قاسية منكراً أن تكون في مصر أندية للأدب . وهذا أيضاً ما سيقوله جل قراء الرسالة — إن لم يكن كلهم — وسينكرون أن تكون في مصر أندية للأدب . وربما يسألون : ما شأن هذه الأندية ؟ ومتى وجدت ؟ وأين توجد ؟ وما بالنا لا نعرف عنها أي شيء ؟ .. وهذا هو الذي حفزني للكتابة عن هذه الأندية ، وحملني على أن أكشف للناس — بل ولكثير من الأدباء أنفسهم — عن ناحية مستورة في حياتنا الأدبية ، ومؤثر له شأنه وخطره في وجهتنا الثقافية

نعم ليس في مصر أندية للأدب بالمعنى الضخم الذي يوحيه إليك هذا التعبير الضخم ، فتتخيل العمائر الشاهقة التي شيدتها الحكومة أو شيدتها الجمعيات الأدبية المنظمة وجعلتها في تأسيسها وفي أثاثها بهجة الناظر ومتعة الخاطر ، لتكون مجمعاً لأهل الأدب ومسرحاً لأرباب القلم ، كما هو الشأن في الأمم الراقية التي تحترم الفن ، وتقدر نتاج الفكر ، وإنما الأندية الأدبية في مصر إما مقاهٍ عامة تتسع لغمار الناس وجميع الطبقات ، وربما تكون ضئيلة الرواء تافهة الموقع ، وإنما ينزع إليها الأدباء لود قديم ، أو لمعنى يتصل بحياتهم المادية والروحية ، وإما بيوت لها مجد تالد ، وتاريخ حديث يتصل بتاريخ غابر ، فأصحابها يقربون أهل الأدب ويفسحون لهم في صدور بيوتهم يسمرون ويتندرون ، ويعتدحون بل ويذمون ، ويتوثبون من حديث إلى حديث بين أكواب الشاي وأقداح القهوة

وهذه الأندية على بساطتها لها أثر كبير في حياتنا الأدبية ، وإن ما يجري فيها لصورة صحيحة لثقافتنا ووجهتنا في الأدب والشعر والنقد وكل ضروب المعارف التي نحذقها ، والتي لا نحذقها . وأنت لا شك تجهل كثيراً من نواحينا الفكرية وسياستنا الأدبية ، ومدى الصلة بين ثقافتنا وأخلاقنا . وأنت لا شك تخطئ كل الخطأ إذا كنت تحسب أنك قادر على فهم أدبائنا حق الفهم من كتاباتهم التي يزورونها للناس ، من غير أن تنتقل إلى هذه الأندية ، تجول بين جنباتها ، وتندمج في جماعاتها ، فتحاور وتداور ، وتقول وتسمع ، وترضى وتغضب ، وتنفلت معهم من كل قيد ، وتخرج على كل وضع ، وتكون حاضراً بعقلك وقلبك وعواطفك ، حتى تنبسط أمامك النفوس ، وتنكشف لك السرائر ، ويُعلن كل مخفيّ ومطويّ ، فيتبين لك القوم بعقلهم الواعي ، وما يسمونه بالعقل الباطن

لقد خرجت منذ عامين برفقة صديق عزيز إلى بساتين القناطر الخيرية في يوم عيد الربيع ، فرأينا الناس قد احتشدت هناك على اختلاف ألسنتهم وألوانهم ، وتباين طبقاتهم ومراتبهم ، ورأيناهم قد خرجوا من وقارهم ، واستهانوا بكل ما اصطلح الناس عليه من الأخلاق والتقاليد ، واندفعوا في يقظة العواطف ، ورغبات القلوب ، وشهوات الجسد ، ما وسعهم الجهد في ذلك ، فكنت أنظر إليهم في فزع وجزع ، فقال لي صاحبي وهو يقول : لا تفزع ولا تجزع ، فإن هذه — لو علمت — هي حال الناس بين الجدران ، وتلك طبيعتهم من وراء الحيطان ، وثق أن ما يظهر به الناس في الخارج من سمات الوقار ومظاهر الاحتشام إنما هو شيء متكلف مزور ، وإنه ليغطي وجه الحق على كثير من الناظرين . ولو قدر للشمس أن تشرق على جميع الناس ، وأذن للحجب أن تنهتك عما وراءها لرأيت الناس في طبيعتهم الصريحة وحقيقتهم الصحيحة ، وما حقيقتهم إلا ما ترى ياصاحبي .

وهذا الذي قاله صاحبي في الناس بالأمس ، هو ما أقوله في أصحابي الأدباء اليوم ، فهم في كتاباتهم قد يحجبون حقيقتهم ويزورون في طبيعتهم ، ويظهرون في غير لباسهم ، توخيا لمصلحة يرجونها أو رهبة لسيطرة القوانين والتقاليد ، أو رعاية لروابط الصداقة وصلات المودة بينهم وبين الناس ، فتراهم يبدون الرأي في احتراس ، ويحكمون على الأشياء بقدر ، ويخدعون ضمائرهم

فيحسنون ما ليس بالحسن ، وهم على عكس هذا كله فى أنديتهم الأدبية ، ومواطن سمرهم وصفوهم ، صرحاء وضحاء ، لا يقتصدون فى شىء ولا يقفون على شىء ، فتسمع منهم الرأى الصحيح والتقدير الصريح والنقد العنيف ، والأحكام القاسية التى تتصل بالآثار وبالشخصيات وتتناول الأفراد والجماعات ، وربما يفزعك هذا النقد بأسلوبه ، وربما تنكره على أصحابه ، ولكنك لاشك ستجد فيه كثيراً من الصراحة المحمودة ، والتقدير الحق . وأذكر أن أديباً كبيراً أعرفه كتب مقالا فى تقريظ صاحب له فى إحدى الصحف ، فهول وبالغ ومجد وقدس حتى طار بصاحبه إلى السماء ، فلما قابلته فى المساء حيث يجلس مع إخوانه للمسامرة ، ذكر لى أن ما كتبه إنما هو تمويه فى الحق ، وتدليس على الناس ، وأن صاحبه ليس فى قليل ولا كثير فيما كتب عنه ، ولكنها الضرورة قاتلها الله ، وللضرورة حكم أقل ما يقال فيه أنه يفصل بين المرء وبين ضميره . ولقد ذكر الدكتور زكى مبارك فى مقال نشره منذ أعوام ، أن الدكتور طه حسين أسر إليه فى مجلس من المجالس أن «شوقى» فى رأيه أكبر شاعر فى العربية ، وأنه كان يود أن يقدم ديوانه للقراء ، على حين كان الدكتور طه فى ذلك الوقت يذيع فى الناس أن « شوقى » لا يد له فى الشعر ولا رجل ، وأنه شاعر يغنى على أطلال القديم ، فيغنى عنه أضأل شاعر فى القديم ! ! ومن ثم تعلم أن أدباءنا فى مجالسهم شىء ، وهم فى كتاباتهم شىء آخر ...

وإلى جانب هذا نجد فى أنديتنا الأدبية ناحية مشرقة ، فهى مجلس الدعابة البارعة ، والروح المصرية المرحة ، ولعلك تعلم أن الدعابة إنما هى الجانب المشرق من الحياة ، وهى عنوان ما فى السرائر المكتومة ، ومظهر من مظاهر الأخلاق والثقافة ، وعنصر يهتم به الدارسون لنفسيات الأمم وطبائع الشعوب . وليس من شك فى أن شخصية الأديب قد تتجلى واضحة مكشوفة فى نكتة يلقيها على بساط الشراب ، وربما لا يظهر لها ظل فى جميع مؤلفاته ولو بلغت ألف كتاب . ولأدبائنا فى مناحى الدعابة ذراع رحب ، ولسان طويل ... ولكنهم لا يهتمون أو قل يتحرجون من تسجيل ذلك وإذاعته فى الناس ، ولا شك أننا فرطنا فى كثير إذ أهملنا ما كان يجرى فى مجالس البابلى وحافظ وإمام العبد وأندادهم ، فلم نسجل شيئاً من أحاديثهم . ولم نحفل بنوادرهم وقفشاتهم ، على أنها كانت ثروة طيبة ، وناحية حافلة بالأنس والسمر ، ومن العجيب أن القدماء كانوا أجدى منا فى ذلك وأحفل به ، ولعل مرجع هذا إلى أنهم كانوا يكتبون للخاصة فكانوا ينطلقون على طبيعتهم فلا يتأثمون من تعبير ، ولا يتزمتون من لفظ ، ولكنا نكتب لجميع الناس ، وكتاباتنا تتصل بمختلف الأوساط ، فكان لا بد أن نعف عن كل ما يخدش الحياء ، ويؤذى الأذن كما يزعمون !

ومن بعد هذا ومن قبله ، نجد تلك الأندية تعمل كثيراً فى نهضتنا الأدبية ، وفى وجهتنا الثقافية ، فكثيراً ما تتشاجر الآراء ، وتقوم المجادلات بين القوم حول المعركة بين القديم والجديد ، أو فى المقارنة بين شوقى وحافظ ، أو المفاضلة بين طه والعقاد ، وقد يخرجون من القول فى الأدب إلى الكلام فى السياسة وما يجرى من التطاحن بين الأحزاب ، وفى هذه الأحاديث وأفعالها يفضى كل بما عنده ، فتكون الإفادة والاستفادة .

فنحن إذ نكتب عن الأندية الأدبية فى مصر ، إنما نكشف — كما قلنا — عن ناحية مستورة فى حياتنا الأدبية ، ومؤثر له شأنه وخطره فى وجهتنا الثقافية ، ونصور للناس صورة مشرقة بالمرح والصفو يطل منها أدباؤنا بطبيعتهم الصحيحة ، وحقيقتهم الصريحة . وموعدنا المقال القادم لنقف عند أول ناد هبطت عليه يوم هبطت على القاهرة ، وسأعرف كيف أقنع صاحبى الشاعر « الخفيف » الظريف .

« م . ف . ع »

الشيخوخة المبكرة متعسة . أفروس ابتكار فرنسى أصلى يقضى عليها تماما لأنه مركب من غدد الثيران وهى هائجة . يجدد غددك ويزيد إفرازاتها فيعيد صباك لا محالة . وللاقبال عليه فالدعا الآخرون . إحترس من التقليد الرخيص المغر

اطلب مؤلفات
الأستاذ النشاشيبي
وكتابه
الإسلام الصحيح
من مكتبة الوفد ، شارع الفلكى (باب اللوق)
ومن المكتبات العربية الشهيرة